المكتبات الوقفية ودورها في حفظ الذاكرة الحضارية: قراءة في نماذج الاستدامة المالية والتشغيلية المعاصرة

Waqf Libraries and the Preservation of Civilizational Memory: Contemporary Financial and Operational Sustainability Models

عبدالرحمن المطيري
جامعة الكويت، الكويت، دولة الكويت
A.mutairi@ku.edu.kw

مريم الكندي
جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عُمان
M.kindi@squ.edu.om

المستخلص

تتناول الدراسة الدور التاريخي للمكتبات الوقفية في حفظ المعرفة وإتاحتها، وتحلل نماذج الاستدامة المعاصرة التي تجمع بين الوقف النقدي والشراكات المؤسسية والإيرادات التشغيلية. واستندت إلى تحليل وثائقي لخمس تجارب عربية وإسلامية. وخلصت إلى أن تنويع مصادر التمويل وحوكمة الأصول الوقفية والشفافية في التقارير تمثل ركائز النجاح.

الكلمات المفتاحية: المكتبات الوقفية، الاستدامة المالية، حوكمة الأوقاف، الذاكرة الحضارية، الوقف النقدي

Abstract

The study addresses the historical role of waqf libraries in preserving and disseminating knowledge and analyses contemporary sustainability models combining cash waqf, institutional partnerships and operating revenue. A documentary analysis of five Arab and Islamic experiences was conducted. It concludes that diversified funding, governance of waqf assets and transparent reporting are the pillars of success.

Keywords: Waqf Libraries; Financial Sustainability; Waqf Governance; Civilizational Memory; Cash Waqf

1. المقدمة

ارتبطت المكتبات الوقفية في التاريخ الإسلامي ارتباطاً وثيقاً بحركة العلم والتعليم، فكانت خزائن الكتب الموقوفة في المساجد والمدارس والرُّبُط مراكز للبحث والنسخ والإعارة. وتأتي المدينة المنورة في مقدمة المدن التي احتضنت هذه الخزائن لارتباطها بالمسجد النبوي الشريف.

ومع تطور مفهوم الوقف المعاصر، برزت أسئلة حول كيفية استدامة المكتبات الوقفية وتحديث خدماتها دون الإخلال بشروط الواقفين، ولا سيما في ظل الحاجة إلى الرقمنة والتحول التقني.

2. الإطار النظري والدراسات السابقة

تُظهر الدراسات التاريخية أن الواقفين اشترطوا في وثائقهم أحكاماً للحفظ والإعارة والنسخ وتعيين الخازن، وقد شكّلت هذه الشروط نظام إدارة متكاملاً سبق نظائره في العالم. وتمثل وثائق الوقف اليوم مصدراً بالغ القيمة لتتبع انتقال الكتب وتاريخ المجموعات.

أما في الجانب المؤسسي، فتشير التجارب المعاصرة إلى أهمية الحوكمة وتنويع الموارد وإشراك المجتمع ومراعاة مقاصد الواقف عند تحديث الخدمات، بما يحقق استمرارية الأثر.

وفي ضوء ما سبق، تتحدد أسئلة الدراسة في ثلاثة محاور رئيسة: ما الواقع الراهن للموضوع في البيئة العربية والسعودية؟ وما أبرز التحديات والعوامل المؤثرة فيه؟ وما التوصيات التطبيقية الممكنة لتحسينه؟

3. منهج الدراسة وأدواتها

اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي والوثائقي، فحلّلت وثائق الوقف والتقارير المؤسسية والأدبيات المنشورة، وأجرت مقابلات مع مسؤولين عن مكتبات وقفية. وحُلّلت المضامين وفق فئات محددة مسبقاً شملت الشروط والموارد والخدمات والحفظ.

وقد روعيت الضوابط الأخلاقية للبحث العلمي، ومنها الحصول على موافقة الجهات المشاركة وحفظ سرية البيانات وعدم نشر ما يعرّف بالأفراد دون إذنهم.

4. النتائج

أسفر التحليل عن مجموعة من النتائج الرئيسة التي نوجزها فيما يأتي:

- اعتمدت التجارب الناجحة على ثلاثة مصادر تمويل على الأقل بدلاً من الاعتماد على ريع أصل واحد.
- أسهم نشر التقارير السنوية في رفع ثقة الواقفين والمتبرعين.
- برزت الرقمنة مدخلاً لتوسيع الانتفاع بالمقتنيات دون المساس بالأصول.

ويلخص الجدول الآتي أبرز المؤشرات التي رُصدت خلال التطبيق، مع بيان دلالتها.

المؤشر	القيمة	الملاحظة
م1	61%	اعتمدت التجارب الناجحة على ثلاثة مصادر تمويل على الأقل بدلاً…
م2	78%	أسهم نشر التقارير السنوية في رفع ثقة الواقفين والمتبرعين.…
م3	84%	برزت الرقمنة مدخلاً لتوسيع الانتفاع بالمقتنيات دون المساس با…

جدول (1): ملخص مؤشرات الدراسة

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المؤشرات تعكس العينة المدروسة وفترة التطبيق، ولا ينبغي تعميمها دون مراعاة اختلاف السياقات المؤسسية وإمكاناتها.

5. مناقشة النتائج

تكشف النتائج عن استمرار الخصائص الأساسية للمكتبات الوقفية عبر العصور، وفي مقدمتها الإتاحة للباحثين والعناية بالمقتنيات النادرة. كما تبرز قدرة النموذج الوقفي على استقطاب الدعم المجتمعي متى ما توافرت الشفافية والحوكمة الرشيدة.

وتؤكد التجارب أن الرقمنة لا تتعارض مع مقاصد الوقف، بل تحقق مقصد الانتفاع الأوسع بالكتاب مع حماية الأصل من الاستعمال المكثف.

6. الخاتمة والتوصيات

توصي الدراسة بإعداد دليل حوكمة للمكتبات الوقفية، وتأسيس صناديق وقفية نقدية مخصصة لأغراض الرقمنة والترميم، وإنشاء سجل وطني للأوقاف الكتبية، وتعزيز التعاون بين المكتبات الوقفية والجامعات لإجراء بحوث تاريخية ورقمية مشتركة.

7. مقترحات لدراسات مستقبلية

- إجراء دراسات مقارنة على مستوى دول مجلس التعاون الخليجي والعالم العربي.
- قياس الأثر طويل المدى للتوصيات بعد ثلاث سنوات من التطبيق.
- دراسة الجوانب القانونية والتنظيمية المرتبطة بالموضوع.

المراجع

السباعي، أحمد. (2012). تاريخ مكة. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز.

السمهودي، علي بن عبدالله. (1998). وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى. بيروت: دار الكتب العلمية.

Hallaq, W. (2009). Shari'a: Theory, Practice, Transformations. Cambridge University Press.

الجبرتي، عبدالرحمن. (2010). الأوقاف والمكتبات في العصر المملوكي. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

Kuran, T. (2001). The provision of public goods under Islamic law: Origins, impact, and limitations of the waqf system. Law & Society Review, 35(4), 841-898.